

من الحقوق الأساسية للطفل على أهله أن يختاروا له الاسم الحسن، على أن الناس - بالرغم من إدراكهم لهذه الحقيقة - نجدهم يتصرفون عكس ما ذكرنا في كثير من الأحيان، ويختارون لمواليدهم أسماء في غاية الغرابة والبُعد عن الذوق، ونحن حسب ما نعلم، نعتقد أن الكثيرين في لحظة اختيار الاسم يطمئنون إلى أي اسم يلصقونه بالمولود دون مناقشة أو تحسباً من عواقب، وهذا الأمر بالذات سواء أكان الاسم حسناً أم تافهاً يدل على المستوى العقلي، والموقع الاجتماعي لفئة من هؤلاء الذين نعينهم في هذه المقالة.

أسماء

الأعلام في ريف الأردن وباديته

بقلم: نايف النوايسة

الخاص الذي يفسر ظروفها وحركة نموها، وَيَسِمُهَا على نحو يختلف عنه في المرحلة الأخرى. وسنجد فيما يلي أثر العوامل الآتية في اختيار الاسم :

أ - الشخص المُسَمَّى وحالته النفسية التي يكون لها أثر بَيِّن في اختيار الاسم.

ب - الصفات الخَلْقِيَّة، والطباع المتوسِّمة

يمر المجتمع، أي مجتمع - في التقسيم التقليدي - في ثلاث مراحل (بداوة، ريف، مدينة)، فإذا وجدنا اليون شاسعاً بين البداوة والمدينة، فإننا نجد الريف محطة بين المرحلتين، وهي كذلك في مسألة اختيار الاسم، بحيث نجد الأسماء الريفية تحمل طابعاً نستشف منه ما ذهبنا إليه وهو أن الريف محطة توصل البداوة بالمدينة، بيد أن كل مرحلة من المراحل الثلاث تتفرد بطابعها



في المولود.

ج - الدلالات الزمانية والمكانية، والأشياء المحيطة أثناء عملية الولادة.

من المعروف أن الريفي والبدوي شديداً التأثر بالطبيعة ومحركاتها والتعلق بها، ولهذا لا نستغرب المدى البعيد لانعكاسات التأثير على تصرفاته وطرق معاشه وأسلوب حياته، واختيار الاسم نصيب وافر من هذه العلاقة الحميمة.

١ - الشخص المُسمَّى :

قد يكون هذا الشخص والد الطفل أو جدّه أو عمّه أو شيخ القبيلة، أو يكون المختار^(١) بدلاً من كل أولئك، ومن النادر جداً أن تكون أمّه، ففي الحالات التي يطول فيها انتظار شخص لولد يرثه ويكون له (عزوة)^(٢) فإن حالته النفسية لا بل حالة كل الذين ذكرناهم في صلاحية اختيار الاسم متهيأة لهذا الشأن، ويرددون بلسان واحد (يا رب أتعوذ على داره، يا رب أتعوذ على داره، يا رب إنعمّ داره)، فأقرب الأسماء إلى النفس في لحظة الولادة (عواد، عايد، خلف، إخليف، خليفة، عوض، إغوض، عمران، عمير ...)، هذا للذكور، أما الأنثى - وإن كانت في جميع الأحوال غير مرغوب بها - فتسمى (عيدة، عابدة) ولا يكون هذا إلا في حالات نادرة كأن يكون الوالد من أولئك الذين أشرفوا على (أرذل العمر)، والمولود سيكون الأول والأخير الذي (يرثه).

وللمختار نصيب كبير في هذه العملية، وتحدد علاقته بالمسؤولين في المنطقة نصيبه في الاختيار، على أن شيخ القبيلة يملك من الصلاحية ما يمكنه - إذا شاء - أن يغيّر اسماً تم اختياره، وهذه الصفة بالشيخ تعود إلى ظروف كثيرة على رأسها الوشائج العشائرية القوية التي ساعد على تكريسها

أحداث حدثت ومواجهات مع المسؤولين أو العشائر الأخرى وقعت، فنجد من الأسماء الدالة (فرج، فريج، فرّاج)، وللأنثى (فرجة). وحين يكون حبس الناس جماعياً تبرز أسماء (حابس) وللأنثى (حبوس، حبسا).

إن اهتمام البدو بالأسماء نابع من طبيعة الحياة التي يكدحون من أجلها، فهم بحاجة دائمة إلى مراعي لإبلهم، ومصادر مياه تروي ظمأهم وتنتب العشب لمواشيهم، ففي سنوات القحط الشديد يحس البدوي وكذلك الريفي أن مشكلته عامة ولا يصح له الانفراد بالتفكير بها، فهي ملقاة لكل أفراد العشيرة، فإذا صدف أن وُلد مولود في أثناء هذه الظروف، فأقرب الأسماء (أمحيلان) للذكر، و(أمحيلة) للأنثى، فطبيعة المنطقة - كما سلف - والحالة النفسية أملت على الشخص المُسمَّى صنفاً من الأسماء يوائم طبيعة العلاقة بين الريفي والبدوي وظروف منطقتهما.

ب - الصفات الخُلُقِيَّة والطباع المتوسِّمة في المولود

الفراسة والسياسة في الريف والبادية بمعنى واحد، وهذا المعنى يتميزان به من المدينة، فالكثير من التعابير الشعبية السارية بين سكان المنطقتين تشير إلى ذلك، مثلاً (فلان جاي لخاله) أو (توحّمت^(٣) أمه بفلان) أو (هذا الطفل إله مستقبل) إلى غير ذلك من الإشارات، لكن الذي أشرنا إليه لا يغني وحده - في معرض اختيار الاسم - عن عوامل كثيرة تسهم في هذا الشأن، وكيف يكون هذا ؟

يمتاز الريفي بشدة تعلقه بأرضه وانتمائه القوي لئربها، تراه يكدح ليلاً نهاراً ليحقق من جناها ما تصبو إليه نفسه، فعن طريق معوله ومحراثه تتناول سنابل حقله وتفتح أزهار أشجاره، وتينع بعد ذلك ثمارها،

شائعة، يقول الشاعر البدوي :

والعين عين شاهية
وبنيه يا ريمة البيدة^(٥)

ومن هذه الأسماء (غزال، غزالة، ريم، ريمة) وتجيء التسمية هنا لعلاقة جمالية بين المولودة والغزال، غير أن الميل إلى التصغير يكثر عند الطرفين فإسم مثل (اغزِيل) يعدّ ضرباً من التحبب والدلال لصاحبة الاسم.

عموماً فإن استقصاء أسماء مثل الذي ذكرت لا يحققه باحث في التراث وحده، فلا بد من توسّع ودقة في ذلك، ولا يتحقق هذا إلا لفريق من الباحثين يذهبون في التقاط موادهم أبعد من الدائرة الصغيرة التي يعمل فيها باحث وحده.

أما الطباع المتوسمة في المولود وعلاقتها باختيار الاسم فهي على نوعين :

١ - الطباع الحميدة

يتطلع بعض الآباء إلى مستقبل أبنائهم بالصورة التي يختارون بها أسماء لهم، فجاءت الكثرة من الأسماء ذات دلالات عن مقاصد هؤلاء الآباء، فاسم (هواش أو مهاوش، أو هوشان)^(٦) تشير كلها إلى تلك المقاصد، فالطفل في نظر أهله رجل قبل كل شيء لأنه المدافع عن القبيلة الحامي للعرض والأرض، واسم (شيخة) التي تلد لشيخ القبيلة فإنها ستكون (شيخة) مثل أمها بصفاتها ووظيفتها الاجتماعية، أما اسم (هايل، صايل)^(٧)، فارس، طراد، شدّاد، سند) كلها تدل على الشجاعة والفروسية، وهذه خلال من أولى الحاجات عند البدوي والريفي، فهو يتطلع إلى من يزود عنه ويردّ غارات الأعداء، وأما صفة الكرم فالأسماء التي تدل عليها كثيرة على إشتقاقاتها المختلفة، فنسمع : (كريم، إكريم، أكرم، جواد، جودة، فياض) أي أن ما يتصف به

ترافقه - في أثناء ذلك - البسمة والسعادة، هذه اللحظات الحبيبة إليه تنعكس أيضاً على اختيار الاسم لمولوده، فهو عنده (ربيع) إن كان ذكراً، و(وردة، وزهرة) إذا كان المولود أنثى، أو يسميها (بتلة) إذا توسّم فيها ما يشبه (بتل) الأزاهير، وفي موسم جني المحصول يشبع إسم (تفاحة، فواكه)، ونجد في بعض مناطق الأردن من يسمي (خروب، مشمش)، ويتغنى الشاعر :

والطول عود النخل ممدود

لن هبها الريح لافات^(٨)

أي أن اسم (نخلة) الذي يشيع في الريف والبادية على حد سواء يصوّر تصويراً بارعاً طبيعة العلاقة بين سكان المنطقتين و الطبيعة، كما أنني لاحظت قلة الأسماء النباتية في البادية لندرة النباتات - ما عدا الأعشاب - وإن وجدت فإنك ترى البدوي يُسمي (عرفج، عريفج) وهما من الأسماء الشائعة في البادية وهو جمع (عرفجة)، ويسمى المولود بهذا الاسم - في العادة - حين يجد المسمي بعض صفات هذا النبتة فيه أو يتوهم ذلك، مثل (الشعر الأشعث أو الرمادي، إعوجاج الساقين أو الساعدين...)، وهناك أسماء كثيرة ترد على هذا النحو.

أما الأسماء التي يحاكون بها أسماء الطيور والحيوانات وصفاتها فكثيرة عند الطرفين، وغالباً ما تكون لأسماء حيوانات وطيور قوية ورشيقة وذكية، فاسم (عقاب) شائع في الريف، وهو أكثر شيوعاً في البادية، ومثله (صقر وشاهين)، ومن المعروف أن الصقر معقوف المنقار حاد النظرات، فحين يكون المولود متصفاً بوصف الصقر فلن تجد الريفي والبدوي يتوانيان عن تسمية المولود بهذا الاسم، أما طائر (الشاهية)، هو جارج وسريع الحركة، وتسمية الإناث بهذا الطائر



يا صيت أبوها مع الشيخان مع دقايق المهابيش^(٩)

فدرج بين أبناء المنطقتين أسماء (صيتة، وصيتان)، رجاء مستقبل حسن لحامل الاسم.

أما إسم (زريف وزريفية) فالأصل فيه (ظريف، وظريفية)، ورب سائل يسأل : لماذا قلت الظاء زايًا ؟! فأقول أن اللسان الشعبي يتقن التماثل الصوتي في الكلمات التي يردددها، فالطاء والزاي من مخرج واحد، لكنه اختار الزاي ليحدث مماثلة صوتية بينه وبين الراء لأنهما حرفان مجهوران غير مطبقان بينما الظاء حرف مجهور مطبق، وأقول أيضاً أن العلاقة بين مراحل المجتمع الثلاث في تواصل ونماء وأن الجمال حيثما يستحسن فهو حسن أينما يكون، فلهجة أهل نابلس في فلسطين تميل إلى (الزاي) بدلاً من الظاء ويقطع أهل الأردن مثل ذلك مما يدل على أن عروة العلاقة بين الشعبين والمنطقتين عروة أخوة في العروبة والدين واللغة والتاريخ، فتشابه المفردات المحلية بعضها مع بعض أمر غير مستغرب البتة. ويرد أيضاً إسم (عبدالزريف) وقد صادفت شخصاً يحمل مثل هذا الاسم، والريفي أو البدوي إذا سمّي بمثل هذا الاسم فهو لا يقصد من ورائه إلا الاستحسان.

الطباع غير الحميدة

لا يبايى البدوي أو الريفي أحياناً حين يُسمّى مولوده بإسم منفر لصفة يلحظها فيه، أو يتم اختيار الاسم في ساعة نفور وخصام بينه وبين زوجته، أو يصادف مولده مناسبة مؤلمة وذكرى محزنة أو حدث مفاجئ، وسنلاحظ أن هناك أسباباً كثيرة تلعب دورها في اختيار مثل هذا الصنف من الأسماء : فإسم (هويل أو هملان)^(١٠) يتم اختياره وكأن المولود له الوزن الأساسي في صياغة

أهل المولود من الكرم والجود والسخاء يفرض عليهم لوناً خاصاً من الأسماء، فالكريم إذا لم يسمّ ابنه (حاتماً) فتراه يسميه بأحد اشتقاقات الكرم تيمناً بمولده ورجاء من أن يكون الاسم مطابقاً لما يتوسمه فيه، ومن هذه الأسماء (فيعة)^(٨) وهو إسم لبدوي في منطقة الكرك أراد له من سمّاه أن يكون ذا مال وعطاء.

ومن الأسماء المحببة إلى نفوس البدو أهل الريف إسم (إششوح) وهو من المشواح أي المسافة البعيدة، وهو معنى عام يقصد منه البعد في كل شيء يعايشه البدوي والريفي من قيم ومعانٍ وطرائق حياة، والشاعر العربي يقول :

وإقدامي على المكروه نفسي

وضربي هامة البطل المشيخ

والدارج بين البدو وأهل الريف في الأردن أن يقول أحدهم : (شوّحت لفلان) أي نبهته لمكان وجودي، وكان الأوائل من العرب يوقدون النيران في ذرى الجبال ليستدل على مضاربهم ابن السبيل وصاحب الحاجة ومن ضلّ طريقه، وهذا الأمر يحمل معنى (التشويخ) وأبلغ من ذاك الاسم (شيحان) وهو إشارة إلى جبل شيحان الذي يشمخ بقمته في شمال الكرك، فهذا الأسلوب إجمالاً يشير إلى كرم وعلو شأن من يسمون بهذه الأسماء.

أما (الصيت)، فيعني الشهرة والذكر سواء أكان حسناً أم قبيحاً، فهذا لبيد بن ربيعة يقول :

وكم مشتر من ماله حسن صيته

لأبائه في كل مبدي ومحضر

والريفي والبدوي لا يضعان كلمة الصيت إلا للعمل الحسن، وبالمقابل يصفان الشخص الخامل الذكر بـ (فلان ما له صيت)، يقول الشاعر البدوي :

وحين يستعلم منه عن موضوع فإنه يتذكر حدوثه بحادثة مهمة تزامنه كأن يقول (إنولّد سنة الهية)^(١١) أو (سنة المحلة) أو (سنة التطويق)^(١٢) أو (سنة الثلجة) أو (سنة مئة فلان) لذلك نجد أسماء كثيرة فيها من هذه الإعتبارات، فاسم (سبته) دلالة على ولادة صاحبه ليلة السبت، ومثل ذلك (إسببتان)، وإذا وُلد يومي الخميس أو الجمعة فيسمى (خميس أو جمعة) أما بقية أيام الأسبوع، فلم أسمع أن أحداً سمي بأي منها. ومن الشهور (شعبان، رمضان، رجب) فقط، أما الفصول فلا يكون إلا (ربيع)، لكنهم يسمون (شتيان، اشتيوي، اشتية)، وهي تدل في جميع الأحوال على ميلاد صاحبه في الأيام الشتائية، وتسمى المولودة (عصرية) إذا وُلدت عصراً، ومثله (عصر، عصري)، أما اسم (نهار) فهو للمولود الذي وضعت أمه نهاراً، وأشير إلى ندرة الولادات نهاراً لقلة الأسماء التي ترد على هذه المناسبة.

ويستهوي البدوي والريفي اسم (ثنّيان) للذكر و(إثنّية) للإنثى، إذا كان تعداد المولود الثاني بين جنسه، أما اسم (وحيد، ووحيدة) إن لم يكن غيره، وإذا كانت المولود رابعة إخوانها سميت (رابعة).

يحاكي البدوي والريفي الطبيعة في كل معالمها وتقلباتها، فتراهما يقلبان البصر في أرجائها ليختارا اسماً يعزز العلاقة بينهما، فاسم (قمرا) يشير إلى ظرف مكاني وإن كان في حد ذاته ظرفاً زمانياً، ذلك لورود أسماء (بدر، هلال، إلهيل)، ونجد (غدير) وهو منخفض الماء

حياته، فقد يثبت المستقبل بأن حاملي هذه الأسماء وصلوا مراتب عالية من التحصيل والمجد، فتكون التسمية موجعة ومخرجة، بيد أنني أقول: ما كان اسم (الجاحظ) ليحلو لولا أن أبا عثمان حمله. واسم (عسمة) نادر جداً ولا أدري كيف وقع عليه الريفي وألبدوي، يقول أمية بن الصلت:

ولا يقتنازعون عنان شرك
ولا أقوات أهلهم العسوم

والعسم (لغة): الخبز اليابس، والعسم (بفتح السين): اليبس في المرفق والرسغ والتعوج في اليد والقدم، وحين يقال: حمار أعسم فهو دقيق القوائم. والعسمي: هو المختال والمعوج والطماع، وتحمل التسمية من هذه المعاني ما يفيد في الدلالة، وهناك الكثير من السيدات يحملن أسماء من هذا النوع في منطقة الكرك.

أما اسم (إزمقنا) فهو من الزمق أي الغضب والحق، فقد تكون لحظة ولادتها هي لحظة خصام بين الأبوين، والغالب أن تكون المولودة ذاتها - حين الولادة - كثيرة الصراخ.

ومن الأسماء التي تُعدّ تصويراً لحال حاملها (سمّور، سمران، سويد، سويدان، السمرا...)، أما مشروم الشفة أو الأنف فيُسمى (شريم، شُرمان، الشُرما...)، وإذا ما حمل أنفاً كبيراً فيسمى (فنخور، فنيخر)، وإذا حمل أنفاً صغيراً يسمى (قعيم، خشمان، خشيم...).

ج- الظروف الزمانية والمكانية والأشياء المحيطة في أثناء الولادة

يؤرخ البدوي والريفي بالأحداث التي تطرأ على حياتهما في كل زمان ومكان،



السبب الذي حدا بالشخص المسمّى أن يختار هذين الأسمين لسيدتين أعرفهما، ومن الغريب في هذا المجال أن نسمع لبدوي في العربية السعودية بنتاً اسمها (دُكْسِن) وهو اسم لرجل إنجليزي عمل صنيعاً جميلاً لهذا البدوي، فأقسم هذا ليسمّي أول مولود يُولد له - ذكراً كان أم أنثى - باسم هذا الإنجليزي، فوضعت زوجته أنثى فسمّاها البدوي (دُكْسِن).

نرى - مما سبق - مدى تأثير الطبيعة على البدوي والريفي في هذا الشأن، أمّا اشتراكهما في بعض الأسماء (محمد، حمد، موسى، علي صالح)، فعائد إلى الرابطة الدينية، على أن وسائل النقل والاتصالات وانتقال السكان من مكان إلى آخر، والأقبال على العلم، كل ذلك له عظيم الأثر في العزوف عن بعض الأسماء، فأصبحنا نسمع بـ (سمير بن عثمان)^(١٤) و(نازك بنت جربوع)^(١٥) و(عماد بن هويشل)^(١٦) إلى غير ذلك، ومهما تكن غرابة الاسم أو خشونته أو قبحه فهو مؤثر على عقلية فئة حكمتها ظروف قوية التأثير، ووضع اجتماعي قاس، وإن التحول التدريجي من اسم غريب تحكمه أحياناً حرفية العلاقة بين الإنسان والطبيعة إلى اسم ينسجم مع الذوق والأصالة العربية والحضارة العصرية ليعدّ دلالة على تملل تلك العقلية من جمودها وأفقها الضيق إلى أفاق الكون الرحبية.

وعلى هامش هذه الدراسة أدرج بعض الأسماء التي سجلتها من منطقة الكرك دون تعليق وهي (جعدة، كرمة، شيحة)

الذي يمتلئ بالماء ويجده البدوي خير مصدر لشربه، وسقي أغنامه، فالتى تضع مولودها عند حواف الغدير حين ترده فإنها تسمي المولود أو المولودة (غديرا)، ويسميّان (سهلاً، سهلة، إسهلة، إسهيلة) محاكاة للسهل، ويميل البدوي والريفي إلى تصغير الأسماء - كما أشرنا سابقاً - فاسم (أفجيح)^(١٧) من الفجّ، والشخص الذي يحمل هذا الاسم تكون ولادته في مثل هذه الأمكنة، واسم (أزربة) فعلى الرغم من ندرته فهو يشير إلى العلاقة بين الريفي والبدوي والطبيعة. وقد سألت هذه السيدة قبل موتها عن غرابة اسمها، فقالت: ولدتني أمي وهي في طريقها إلى عين الماء وصدف أن كانت الولادة في درب ضيقة جداً.

أما تسمية المواليد بتأثير من الأشياء المحيطة والمتداولة فشائع عند أهل الريف والبادية، فيسمون (دعيج، دعيجة، دعجا) وهي صفة حسنة في العين. ومنها (شعلان، إشعيلة، شعلا، مشعل) و(صباح، غبشا، وضحا، إدهما، دهمه ...)، واسم (مجحم) شائع عند البدو وهو من الجاحم، وهي من الأسماء التي ترد في الصفات الخلقية، لكنه يأتي من جحم النار وأوقدها وهذا ما يراد من المولود حين يواجه أعداءه.

أما أسماء العملة والحلي فيشيع منها (ذهبة، إذهبة، إذهبية) و(فضة، فضية) و(إجنية) و(مسيوغة) من الصياغة. والبدوي والريفي يكثر من إبدال الصاد سيناً. ومن الأسماء التي لا معنى لها (شِنواره، أشنيوره) وإنني لا أعلم عن

امروّح، إجرید، فناطل، فنطول، دَحام،
رفيفان، زك، جَزَاع، هَزَاع، عباطه، تِرفة،
حجزه، هدبا، بندر، قطينة، زعول،
مسفوهة، ازعلة، فرزات، غفلة، مَدّه،
ليقه، طليقه، نمشه، معافه، معيوفه، شَمّا،
ريّا، ضَوّيع، دَعمس، مَرّار، عبطان،
عباطة، هاجم، طراد، راكان).

«نباتات». (ذيب، جروان، عصفور، نمر،
أسد، بلبل، عنيزان، إجحيش، إجحيشة،
حصان) «حيوانات وطيور». (ثلجي،
إثلجة، مطر، إمطير، إمطيرة، إرحيل،
حرب) «مناسبات». (نجد، عرقوب،
وادي) «أماكن». (نجم، نجمة، نجوم،
ثريّا، قمر، شمس، شمسية) «ظواهر
طبيعية». حدروجة، طرفة، جديان،

هوامش

دقات الذين يطحنون القهوة بواسطة
(المهايش)، والمهباش هو الجرن أو
النّجر المصنوع من الخشب يتخذ للطحن
بخاصة القهوة. وهذه دلالة كرم.

(١٠) - هويل، هملان : من الهامل وهو عديم
الخلق، السيء السلوك.

(١١) - سنة الهية : وهي (هية) الكرك أي ثورة
الكرك على الأتراك سنة ١٩١٠م.

(١٢) - سنة التطويق : وهي السنة التي طوّقت
فيها قوات الحكومة بلدة المزار في أول
الخمسينات بسبب الانتخابات النيابية.

(١٣) - افجيج : من الفج وهو الأرض الواسعة
بين جبلين أو المضرب البعيد، ويقال :
واٍ افجيج أي عميق وواسع.

(١٤) - عرمان : من أسماء الكلاب.

(١٥) - الجربوع : هو اليربوع.

(١٦) - هوشل : تصغير هاشل، من هشل أي
قدم. وفي الدعوات (الله لا يهشلك) وتكون
للحبيب أحياناً.

(١) - المختار : شخص يختار من العشيرة
لأسباب تميزه ليكون لسان حال العشيرة
لدى المسؤولين وتعاونيه هيئة اختيارية.

(٢) - عزوة : من العز، وهي الأولاد الذين
يُسْتَعَز بهم.

(٣) - توحمت، من الوحام : وهو من الأعراض
التي تصيب المرأة عند حملها.

(٤) - أي أن طول الفتاة هذه كطول النخلة،
وإذا غشيتها الرياح تتضح معالم جسمها.

(٥) - عيُنْها حادة جداً وواسعة جداً مثل عين
هذا الضائر المعروف بـ (الشاهية) وهي
تحمل صفات الريم أيضاً.

(٦) - من الهوشة، أي المشاجرة.

(٧) - أي هائل وصال.

(٨) - فيعة : حمل هذا الاسم بدوي كان يسكن
منطقة المزار ثم هاجر إلى السعودية
والاسم يشير إلى الكثرة والوفرة.

(٩) - سمعة والد هذه الفتاة التي عنها
الشاعر حسنة وذائعة الصيت، تفسرها